ملخّص زيارة الاربعين قراءة زهرائية بامتياز / عبد الحليم الغزّي
الحلقة ٦ : القراءة الزهرائية لزيارة الاربعين ج٢
الاربعاء : ٢٣/صفر/١٤٤٦هـ - الموافق ٢٨/٨/٢٠٢٤

حدَّثتكُم في الحلقة الماضية عن قانون الحقائق، القانونُ الـمُحَمَّديّ الواضحُ الصَّريح: (**إنَّ عَلَىٰ كُلِّ حقٍّ حَقيقَة وعَلَىٰ كُلِّ صَوابٍ نُوراً**).
فنحنُ أمامَ صُورتين:
- هُناكَ صُورةٌ تَستَندُ إلىٰ التَّخبّط وعدم الوضوح وعدم البصيرة في الدين، وتلكَ الصورةُ نتاجُ مراجع الشيعة عبرَ القُرون وإلىٰ يومنا هـٰذا.
- وهُناكَ صُورةٌ تُشَكِّلُها مُفرداتٌ ثقافة العترة الطاهرة إنَّها حقائقُ مَعارف الكتاب والعترة.
ضَعوا هاتَين الصورتَين بينَ يدي هـٰذا القانون؛ هل الصورةُ الـمُتخبطةُ هي الَّتي تَكُونُ جُزءاً ثانياً للمشروع العاشورائيّ الَّذي هُوَ مشروعُ اللّه، (**شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلاً يَا حُسَين، وَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرَاهُنَّ سَبَايَا**)، فأيَّةُ صُورة تأتي مُنسَجِمةً مع مضمون قانون الحقائق؛ (**إنَّ عَلَىٰ كُلِّ حَقٍّ حَقيقَة**)؟
في آخر الحلقة وصلتُ إلىٰ أحاديث زيارة سيد الشُّهداء، وإلىٰ أحاديث زيارات المعصُومينَ جميعاً، هـٰذه الأحاديثُ الَّتي تأمُرنا بزيارة قَبر الحُسَين أو بزيارة الحُسَين المضمونُ واحدٌ، حينما نتحدَّثُ عن زيارة الحُسَين عن زيارة الجسد الكامل، وهِيَ هِيَ الأحاديثُ تُحَدثنا عن زيارة قبر الحُسَين وفقاً للدَّلالَة الـمُطابقيّة، ووفقاً للدَّلالَة التَّضمّنيّة، ووفقاً للدَّلالَة الالتزاميّة..
لا زلنا في أجواء أحاديث الزيارة، ولكن إلىٰ جهة أخرىٰ فأقولُ:
سادساً: ما جاء في أحاديث الزيارات بشكلٍ عامّ وفي زيارة سيد الشُّهداء بشكلٍ خاص، ما يرتبطُ بطُقوس زيارة سيِّد الشُّهداء.
في (كاملُ الزيارات) لابن قولويه، المتوفّىٰ سنة (٣٦٨) للهجرة، طبعةُ مكتبة الصَّدوق/ طهران - إيران/ الباب التاسع والسبعون/ باب الزيارات، عُنوانهُ: "زياراتُ الحُسَين بنِ عليّ"، ابنُ قولويه أوردَ في هـٰذا البابِ مجموعةً من زيارات سيد الشُّهداء أمرَ علىٰ بعضها.
الزيارةُ الثَّالثةُ، الصفحة الحادية والعشرين بعدَ المئتين: (**بإسنده - بسند ابن قولويه - عن يُوسُفَ الكُناسي، عَن إمَامنا الصَّادقِ صَلواتُ اللّه وسلامهُ عَلَيه قَالَ: إذَا أتَيْتَ قَبْرَ الحُسَين**)، إلىٰ آخرِ ما قالَهُ إمامُنا الصَّادقُ صلواتُ اللّه عليه، "**إذَا أتَيْتَ قَبْرَ الحُسَين**"؛ إذَا أتَيتَ قَبرَ الحُسَين وَفيهِ جَسَدُ الحُسَين بكاملهِ بالدّلالَة الـمُطابقيَّة والتَّضمّنيَّة والالتزاميَّة، فماذا نقرأُ في طُقوس هـٰذه الزيارة؟!
صفحة (٢٢٣): "**ثُمَّ اجْلِس عندَ رَأسه صَلواتُ اللّه عَلَيه فَقُل**"؛ الإمامُ هنا يُبَيِّنُ لنا في طُقوس الزيارة أن يكونَ جُلُوسٌ عندَ رأسِ سَيِّد الشُّهداء، لو لم يَكُن رأسُ سيد الشُّهداء قد دُفنَ في قَبره الشريف فهل أنَّ الإمامَ يتحدَّثُ بمثلِ هـٰذا الحديث؟!
وتستمرُ الزيارةُ: "**ثُمَّ تَحوَّل عندَ رِجْلَيه**"، إلىٰ آخرِ ما جاء في الزيارة الشريفة..
الزيارةُ الثَّانيةُ بعد العاشرة، الصفحة الثَّانية والثَّلاثين بعدَ المئتين: (**عَن إمَامنَا الصَّادقِ صَلواتُ اللّه وسلامهُ عَلَيه**)، الصفحة الرابعة والثَّلاثين بعدَ المئتين: **ثُمَّ ضَع خَدَّيْكَ وَيَدَيكَ جَميعاً عَلَىٰ القَبْر، ثُمَّ اجْلِس عندَ رَأسِه وَاذْكُر اللّه بِمَا أَحْبَبْت وَتَوَجَّه إلَيه وَاسْأَل حَوائجَك، ثُمَّ ضَع يَدَيكَ وَخَدَّيكَ عندَ رِجْلَيه وَقُل** - إلىٰ آخرِ ما جاء في الزيارة الشريفة.
لو لم يَكُن رأسُ الإمام قد دُفنَ مع جسده في القَبرِ نَفسه فهل أنَّ الإمامَ الصَّادقَ يتحدَّثُ بهـٰذه الصيغة؟! هـٰذا خُداعٌ في الكلام وتلاعُبٌ بالألفاظ، وهـٰذا إمامٌ معصومٌ حكيمٌ صادقٌ دقيقٌ عالـمٌ بكُلِّ شيء، هـٰؤلاء هُمَ أمراءُ الكلام وسادَةُ الفَصاحَة والبلاغة، لابُدَّ أن يَكونَ كلامُهُم دقيقاً، كُلُّ هـٰذا يعني أنَّ الرأسَ الشريف في القَبرِ الشريف، ومَن دَفَنَهُ؟ دَفَنَهُ الإمامُ المعصوم..
الزيارةُ السادسةُ بعدَ العاشرة وهِيَ من أطولِ الزيارات الَّتي أوردَها ابنُ قولويه: (**بإسنده، عَن أبي حَمزة الثَّمالي، عَن إمَامنا الصَّادقِ صَلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: إذَا أرَدْتَ الـمَسيرَ إلَىٰ قَبر الحُسَين**)، إنَّهُ القَبرُ الَّذي يَضمُّ الجَسدَ الكامل، الصفحة الحادية والخمسين بعدَ المئتين: **ثُمَّ تَسبح عندَ رَأسه** - عندَ رأسِ الحُسَين، التعبيرُ واضح، مَا قالَ الإمامُ (عندَ موضع الرأس)، يعني عندَ المكان الَّذي يُفترَضُ أن يكونَ قد دُفنَ فيه الرأس - **أَلْفَ تَسبيحَة من تَسْبيحِ أمير الْمُؤْمنين** - ويأتي تَسبيحُ أمير المؤمنين مذكوراً في تفاصيلِ الزيارة - **فَإنْ أحْبَبتَ تَحَوَّلتَ إلَىٰ عند رِجْلَيه وَتَدْعُو بِمَا قَد فَسَّرتُ لَك، ثُمَّ تَدُور من عَند رِجلَيه إلَىٰ عِند رَأسه** - هـٰذه طُقوسُ زيارة الحُسَين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، وجزءٌ واضحٌ من هـٰذه الطقوس ما يقومُ به الزَّائرُ عندَ الرأس الشريف..
ونقرأ أيضاً: **ثُمَّ تَدورُ من خَلف الحُسَين إلَىٰ عند رَأسه وَصَلِّ عندَ رَأسه رَكعَتَين** - وتأتي التفاصيلُ، الزيارةُ طويلةٌ..
تُلاحظونَ أنَّ الأحاديثَ الَّتي تناولت كيفيَّة زيارة سيد الشُّهداء وبيَّنت لنا طُقوسَ تلكَ الزيارات رَكَّزت بنحوٍ واضحٍ في تَعبيرها الصَّريح عن رأسِ سيد الشُّهداء، وأعتقدُ أنَّ الصورة لا تحتاجُ إلىٰ كَثيرٍ من الجَدَلِ إلىٰ كثيرٍ من التأمُّل..
سابعاً: وقفةٌ عندَ الزيارة الجامعة الكَبيرة.
النَّخَعي حينَ سألَ إمامَنا الهادي صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: (**عَلِّمني يَا ابْنَ رَسُول اللّه قَوْلاً أقُولُهُ بَليغاً كَاملاً إذا زُرْتُ وَاحداً منكُم**)، فَعلَّمهُ الإمامُ الهادي صلواتُ اللّه عليه الزيارةَ الجامعةَ الكبيرة، قطعاً الجوابُ من الحَكيمِ يكونُ على قَدر السُّؤال، فالسائلُ يسألُ عن زيارة كاملة لأئمَّة كاملين، وجاءَ جوابُ الإمامِ المعصومِ الحَكيمِ البليغِ الدَّقيق.
فإذا ما تَدبَّرنا في نَصِّ الزيارة الجامعة الكبيرة فإنَّ الزيارة في كُلِّ عبائرها وفي كُلِّ أوصافها وفي كُلِّ جُمَلها ومُفرداتها تُخاطبُ الأئمَّة المعصُومينَ تُخاطبُ حقائقَ أرواحهم وتُخاطبُ أجسادَهُم بكاملها، نحنُ هُنا في مَحضَر المعصُومينَ كاملينَ مُكمَّلينَ بأرواحهم وأجسادهم، تبدأُ الزيارةُ الشريفةُ فتقول: **السَّلامُ عَلَيكُم يَا أهْلَ بَيْت النُبُوَّة وَمَوضعَ الرسالة وَمُخْتَلَف الْمَلائكَة** - هـٰذه المضامينُ لا نَستطيعُ أن نَتصوَّرها بتمامِ معناها اللُّغوي، وبتمامِ معناها الحقيقي العقائديّ إلَّا أن نَكُونَ ونَحنُ نُخاطبُ المعصُومينَ بكاملِ أرواحهم وكاملِ أجسادهم..
على سبيل المثال حينما أُسَلِّمُ عليهم وأقول: **السَّلامُ عَلَىٰ أئمَّة الهُدَىٰ وَمَصَابيح الدُّجَىٰ وَأعْلام التُّقَىٰ وذَوي النُّهَىٰ وَأولي الحجَىٰ وَكَهْف الوَرَىٰ وَوَرَثَة الأنْبيَاء وَالْمَثَل الأعْلَىٰ** - هؤلاء هُم الـمَثَلُ الأعلى، فهل يُمكن أن يكونَ الـمَثَلُ الأعلى في مقامٍ من مقاماته أو في مَظهرٍ من مظاهره يَكونُ ناقصاً؟! - **وَالدَّعوة الحُسنى وَحُجج اللّه عَلَىٰ أهْل الدُّنْيَا وَالآخرَة وَالأوْلَىٰ** - في كُلِّ شُؤونهم وأحوالهم تكونُ الصورةُ كاملةً مُكتملة، فَحينما نزورُ الحُسَينَ بهـٰذه الزيارة كيفَ يتحقَّقُ معناها ومضمونُها إن لم يَكُن الرأسُ الشريفُ قد التحقَ بالجسد الشريف؟
في الزيارة الجامعة الكبيرة ونَحنُ نُخاطبهُم جميعاً: **وَأنَّ أرْوَاحَكُم وَنُورَكُم وَطينَتَكُم وَاحدَة طَابَت وَطَهُرَت بَعضُها من بَعْض، خَلَقَكُم اللّهُ أنْوَاراً فَجَعَلَكُم بِعَرشه مُحْدقين** - هل هُناكَ احتمالٌ لنقصٍ في مَظهرٍ من مظاهرهم في كُلِّ هـٰذا الَّذي تقدَّم؟! - **حَتَّى مَنَّ عَلَينَا بِكُم** - إنَّها صُورةٌ كاملةٌ بأرواحهم وأجسادهم،

مّنَّ عَلَينا بِهِم في كُلِّ المقامات، الزيارةُ نَفسُها هي الَّتي تقول: **بِأَبِي أَنْتُم وَأُمّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي، ذِكْرُكُم فِي الذَّاكِرِين** - ذكرٌ كاملٌ مُتكاملٌ - **وَأَسْمَاؤُكُم فِي الأَسْمَاء وَأَجْسَادُكُم فِي الأَجْسَاد** - وأجسادكُم كاملةٌ في كُلِّ مظاهرها وحالاتها - **وَأَرْوَاحُكُم فِي الأَرْوَاح وَأَنْفُسُكُم فِي النُّفُوس وَآثَارُكُم فِي الآثَار وَقُبُورُكُم فِي القُبُور** - إنَّها القُبورُ الأقدَس، حينما تكونُ قُبورهُم القُبورَ الأكمل هل نتوقَّعُ أن تكونَ الأجسادُ الَّتي دُفنت في تلكَ القُبورِ أن تكونَ ناقصةً؟! - **فَمَا أَحْلَى أَسْمَاءَكُم وَأَكْرَم أَنْفُسَكُم وَأَعْظَم شَأْنَكُم** - إلى آخرِ ما جاء في الزيارة الشريفة.

حينما نقرأ هـٰذه الجُمَل: **مَوَالِيَّ لَا أُحْصِي ثَنَاءَكُم وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُم وَمِنَ الوَصْف قَدْرَكُم** - فهل يكونُ وصفُ أجسادُهم ناقصاً؟ لا يُمكنُ هـٰذا..

هـٰذه الكلماتُ تَكفينا وتَكفينا، وبإمكَاننا أن نَنقُلَ نفس هـٰذا البيان إلى سائرِ زياراتهم الشريفة، أكانت من الزياراتِ المطوَّلَة، أم كانتَ من الزيارات المتوسّطة، أم كانَت من الزيارات القصيرة المختصرة الوجيزة، المضمونُ هُوَ هُوَ.

فأحاديثُ الزيارات تُوَجِّهنا إلى زيارةِ قُبورٍ تشتملُ على أجسادٍ كاملة، وطُقوسُ الزيارات هي الأُخرىٰ تُوجِّهنا إلىٰ أن نكونَ تارةً عِندَ الرأس الشريف وأُخرىٰ عِندَ الرِجلَين..

ثامناً: زيارةُ الناحية المقدَّسة.

لو دَقَّقنا النَّظرَ فيها وفي ترتيبِ عبائرها وجُمَلها وفي هَندسة منظومَتها وكيف نُسِّقَت، إنَّنا سنجدُ تَنسيقاً واضحاً حيثُ ترسِمُ لنا الزيارةُ بِبلاغتها أن يأتي ذِكرُ الأبدانِ وذكرُ الرؤوس في كُلِّ مقطعٍ من مَقاطعها معاً، وهـٰذه إشارةٌ جَميلةٌ جِداً..

نقرأ مثلاً في هـٰذا المقطع الَّذي يبدأ: (**السَّلامُ عَلَىٰ الجُيُوب الْمُضَرَّجَات، السَّلامُ عَلَىٰ الشِّفَاه الذَّابِلَات** - حيثُ نقرأ بعدَ ذٰلك - **السَّلامُ عَلَىٰ الأَجْسَاد العَارِيَات، السَّلامُ عَلَى الجُسُوم الشَّاحِبَات**) ، ما هُو الفارقُ بينَ الأجسادِ والجُسُوم؟ قَدْ يكونُ الجِسمُ هُوَ الجَسَد في بعض صِياغات التعبير، لكنَّنا إذا أردنا أن نُدقِّقَ في معنى الأجساد والأجسام:

- فإنَّ الأجسامَ يُقالُ لها حينما تكونُ الأرواحُ فيها.

- وإنَّ الأجساد يُقالُ لها الأجساد حينما تكونُ الأرواحُ قد غادرتها..

إلى أن يقولَ المقطعُ من هـٰذه الزيارة: (**السَّلامُ عَلَى الرُّؤُوسِ الْمُشَالَات**)، وجاء فيها أيضاً: (**السَّلامُ عَلَى الأَعْضَاء الْمُقَطَّعَات**)، حينما جاء إمامُنا السجّادُ لدفنِ الأجساد في كربلاء أخذ يبحثُ وبنو أسد مُتعجبونَ عن أيِّ شيءٍ يبحث؟! إنَّهُ يبحثُ عن خُنصر الحُسَين الَّذي قُطِع، فألحقَهُ بِجسده، فَمثلما ألحقَ الخُنصر الشريفَ فإنَّ السجّادَ ألحقَ الرأسَ الشريف..

فهـٰذا المقطعُ يُشيرُ بِدقَّة إلى الترابط فيما بينَ الأجساد والرؤوس، فَمثلما يُسَلِّمُ الإمامُ الحُجَّةُ على الأجساد العاريات ويُسلِّمُ على الجُسوم الشاحبات، يُسَلِّمُ على الأعضاء المقطَّعات، والعُنوانُ الأوَّلُ الخُنصر الشريف.

"السَّلامُ عَلَىٰ النِّسوَة البَارِزَات"، (شَاءَ اللّٰهُ أن يَراهُنَّ سَبَايَا)، هـٰذه عاشوراء العقيلة، هـٰذه عاشوراءُ العائلة الحُسينيّة، ولذا بَيّنتُ لَكُم من أنَّ زيارة الأربعين عُنوانٌ للجزء الثَّاني من المشروع العاشورائي..

مقطع آخر من مقاطع زيارة الناحية المقدَّسة: **السَّلامُ عَلَىٰ الأَبْدَان السَّلِيبَة** - وفي المقطع نَفسه - **السَّلامُ عَلَىٰ الرُّؤُوسِ الْمُفَرَّقَة عَن الأَبْدَان** - فالإمامُ لا يُفرقُ بينَ الإثنين.

"**السَّلامُ عَلَىٰ الأَبْدَان السَّلِيبَة**"؛ هـٰذه دُفنَت في الدَّفنِ الأوَّل.

"**السَّلامُ عَلَىٰ الرُّؤُوس الْمُفَرَّقَة عَن الأَبْدَان** "؛ وهـٰذه دُفنت في الدَّفنِ الثَّاني، هُناكَ جُزآن للبرنامج العاشورائيّ، وهُناكَ دَفْنَان.

ونقرأ أيضاً: **السَّلامُ عَلَىٰ الشَّيْبِ الخَضِيب، السَّلامُ عَلَىٰ الخَدِّ التَّرِيب، السَّلامُ عَلَىٰ البَدَن السَّلِيب** - إلى أن يقولَ المقطع: **السَّلامُ عَلَىٰ الرَّأس الْمَرْفُوع** - تُلاحظونَ أنَّ تَناغُماً واضحاً في كُلِّ مقاطع زيارة الناحية المقدَّسة، هُناكَ ترتيبٌ في ذِكرِ هـٰذه العناوين:

- فَحيثُما ذُكِرَت الأجساد ذُكرت الرؤوس.

- وحينما ذُكِرَ البَدنُ السَّليبُ ذُكِرَ الرأسُ المرفُوع.

إشاراتٌ واضحةٌ جِداً لمن كانَ يقرأ هـٰذه النصوصَ بِبصيرةٍ عَلويَّة وبِثقافَة زَهرائيَّة، اجمعوا هـٰذه الحقائقَ كُلَّها بَعيداً عن التأريخ وكُتُب التأريخ والمؤرِّخين، بعيداً عن تَخبُّط المراجع الأغبياء الَّذينَ اَطّلعتُم على تَخبُّطهم وسفاهَتهم وجَهالَتهم الَّذينَ لا يفقَهونَ أنَّ الأربعينَ جُزءٌ ثانٍ يُكمِلُ الجزء الأوَّل من المشروع العاشورائيّ الحُسيني..

من كُلِّ ما تقدَّم صارَ واضحاً لدينا:

- أنَّ الأربَعين حقيقةٌ من حقائقِ دين العترة الطاهرة.

- وأنَّ الرأس الشريف أَلحقَهُ الإمامُ السجّادُ بالبدن الشريف.

- وأنَّ تفاصيلَ الأربعين ما بَلَغَنا عَنها دقيقٌ بدرجةِ مِئةٍ بالمئة، لكنَّ أشياءَ أُخرىٰ ما بَلَغتَنا، لكنَّ الحقائقَ ستتجلَّىٰ بَيِّنةً عِندَ ظُهور قائمِ آلِ مُحَمَّد صلواتُ اللّٰه وسلامهُ عليه.

• **أمّا عددُ الأربعين.**

عددُ الأربعين فلقد شخَّصَ لنا ذٰلكَ إمامُنا الصَّادقُ صلواتُ اللّٰه وسلامهُ عليه، نَحنُ لسنا بِحاجةٍ لكُتُب التأريخ ولمَا قالَهُ المؤرخون وإن صَدقَ بَعضُهم..

في (كامل الزيارات)، الطبعةُ الَّتي أشرتُ إليها، البَابُ السَّادسُ والعشرون، الحديثُ السَّادس وهُوَ حديثٌ طويلٌ مُفصَّلٌ، موطن الحاجة منه: **بِسنده** - بسند ابن قولويه - **عن زُرَارة، عَن إِمَامنا الصَّادق صلواتُ اللّٰه وسَلامُهُ عَلَيه** - إمامُنا يقولُ لزُرَارة: **يَا زُرَارَةُ، إِنَّ السَّمَاءَ بَكَت عَلَىٰ الحُسَين أَربَعِينَ صَبَاحاً بِالدَّم** - الأربَعينُ ليسَ حَدَثاً تأريخياً، إنَّهُ حَدَثٌ كَونِيٌّ، حقيقةٌ من حَقائقِ ديننا، ولذا فإنَّنا لا نعودُ إلى المؤرخينَ في فَهمها ودرايَتها، الدينُ الَّذي يعجزُ عن إثبات حقائقه من داخله هـٰذا ما هُو بِدينٍ إلهيّ، هـٰذا دينٌ شيطانيٌّ، دينُ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد دينُ الدقَّة والحِكْمَة والتَّنسيقِ والاتِّساق، إنَّهُ دينُ الظَّاهر والباطن حيثُ لا يَنفكُّ ظاهرُ أمره عن باطنِ أمره، هـٰذا هُوَ دينُ الأئمَّة المعصُومين، ومِن هُنا فإنَّ الأربعينَ سيكونُ في يوم العشرين لأنَّ البُكاءَ بَدأَ من صباح اليوم الحادي عشر، لأنَّ صباحَ اليوم العاشر ليسَ داخلاً في هـٰذا الحساب - **وَإِنَّ الأَرْضَ بَكَت أَربَعِينَ صَبَاحاً بِالسَّوَاد** - هـٰذه حقائقُ التَّكوين القُلوبُ العَمياء لا تراها، هـٰذا هُوَ التَّعانُقُ ما بينَ عالمِ التُّرابِ وعالمِ الملكوت، هـٰذه الأربعينُ الملكوتيّةُ الَّتي تتجلَّى آثارُها في العالَمِ من حولنا..

- **وَإِنَّ الشَّمْسَ بَكَت أَربَعِينَ صَبَاحاً بِالكُسُوفِ وَالحُمْرَة، وَإِنَّ الجِبَال تَقَطَّعت وَانْتَثَرت، وَإِنَّ البِحَارَ تَفَجَّرت، وَإِنَّ الْمَلائِكَة بَكَت أَربَعِينَ صَبَاحَاً عَلَىٰ الحُسَين** - هـٰذه حكايةُ الأربعين بَعيداً عن هُراءِ أُولـٰئكَ الثولان..

فعددُ الأربعين هـٰذا منشأهُ، والحسابُ من اليوم الحادي عشر وليسَ من اليوم العاشر وهـٰذا منشأهُ، الصورةُ واضحةٌ وجَليّةٌ جِدّاً.
ويُمكنني أن أضيفَ إلى ذٰلك في حَاشية الموضوع أن أقولَ: من أنَّ عوامَّ الشيعة يَزورونَ الحُسَينَ في العشرينَ من صَفَر، وهُناكَ في ثقافة عوامِّ الشيعة هُناكَ من المطَالبِ ومن المضامين بَقيت موجودةً في أوساطِهم من آثارِ ثقافة العترة الطاهرة، لذا فإنَّ علاقة عوامّ الشيعة وعقيدةَ عوامّ الشيعة بالعترة الطاهرة أفضلُ بكثيرٍ من مراجع الشيعة..
في تفسيرِ إمامنا الحَسن العسكريّ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه/ طبعةُ ذوي القربىٰ/ الطبعةُ الأولىٰ/ قُم المقدَّسة/ الصفحة الرابعة والسبعين بعدَ المئتين، من حَديث إمامنا الصَّادقِ صلواتُ اللّه عليه وهُوَ يُقارنُ ما بينَ التَّقليد عندَ اليهود والتَّقليد عندَ الشيعة، الإمامُ يتحدَّثُ عن مَراجع التَّقليد عندَ الشيعة عن أكثَرِهم، لَا يُوجَدُ فيهم مَن يُخالفُ في مَنهجه حتّى نَنظُر في مَنهجِه، المَنهجُ المذمُومُ والملعونُ بِحسَبِ ما بَيّنَ لنا ذٰلكَ إمامُنا الصَّادقُ هُو مَنهجُ المراجع المعاصرين جميعاً إن كانوا في النَّجف في كربلاء في قُم وفي سائرِ البقاع.
إمامُنا الصَّادقُ يقول: **وَهُمِ عُلَمَاءُ السُّوءِ النَّاصِبُونَ الْمُشَبِّهُونَ بِأَنَّهُم لَنَا مُوَالُونَ وَلِأَعْدَائِنَا مُعَادُونَ يُدْخِلُونَ الشَّكَّ وَالشُّبْهَةَ عَلَىٰ ضُعَفَاءِ شِيعَتِنا فَيُضِلُّونَهُم وَيَمْنَعُونَهُم عَنْ قَصْدِ الحَقِّ الْمُصِيبِ** - إلى أن يقولَ الإمامُ الصَّادقُ: **لَا جَرَمَ أَنَّ مَنْ عَلِمَ اللَّهُ مِن قَلْبِهِ مِن هَـٰؤُلَاءِ العَوَامِ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ إِلَّا صِيَانَةَ دِينِه وَتَعْظِيمَ وَلِيِّه لَم يَتْرُكْهُ فِي يَدِ هَـٰذَا الْمُلَبِّسِ الكَافِرِ** - الرِّوايةُ تتحدَّثُ عن بعض العوامّ، عندهُ شيءٌ صحيحٌ، هـٰذا الشيء الصَّحيح من بقايا ثقافة العترة الطَّاهرة الَّتي انتقلت عبر الأجيال ولم يَتمكَّن المرجعُ الأعلى المُلَبِّس الكافر كما يصفهُ إمامُنا الصَّادقُ صلواتُ اللّه عليه من أن يُقذرَ هـٰذه البقيّة الباقية من الثقافة عند بعض الشيعة..
مثالٌ يَعترفُ به العُلماء أنفُسُهم:
الجزء الحادي والثلاثون من (بحار الأنوار) للمجلسي، الصفحة الثَّامنة والسبعين، المجلسي صاحبُ الكتاب وهو يتحدَّثُ عن اليوم التاسع من ربيع الأوَّل، هـٰذا اليومُ فيه عدَّةُ مناسبات، مُناسبةٌ واضحةٌ في هـٰذا اليوم بِحسَبِ ثقافة العترة الطاهرة: (مقتَلُ عُمَر)، يقولُ المجلسي: **ما ذُكر أنَّ مقتلهُ كان في ذي الحجّة** - هـٰذا هُوَ قولُ الطبري وقولُ سائر المؤرخينَ النّواصب، هـٰذا هو الَّذي يتبنَّاهُ مراجعُ الشيعة - **هُو المشهور بينَ فُقهائنا الإماميّة** - فَهُم يعملونَ بقول الطبري ولا يعملونَ بما جاء في الرواية عن إمامنا الهادي صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، والرِّوايةُ مرويّةٌ أساساً عن أمير المؤمنين من أنَّ مَقتَل عُمَر في التاسع من ربيع الأوَّل - **والمشهورُ بينَ الشيعة** - بينَ عوامّ الشيعة - **في الأمصارِ والأقطار في زماننا** - يتحدَّثُ المجلسيّ عن زمانه، وهو توفّي سنة (١١١٠) للهجرة، إنَّهُ زمانُ الدولة الصفويَّة في آخرِ أيَّامها - **هـٰذا هو أنَّهُ اليومُ التاسعُ من ربيعِ الأوَّل** - وهـٰذا الَّذي وَردَ في حديث العترة وعليه عوامُّ الشيعة، أمَّا مراجع الشيعة يتركونَ حديثَ العترة ويتمسَّكونَ بقول الطبري، هـٰذا مثالٌ من الأمثلة، والأمثلةُ كثيرةٌ..
أعتقدُ أنَّ اللوحة اكتملت وأنَّ الحقائقَ والمعطيات من داخل دين العترة الطاهرة هي الَّتي أثبتت لَكُم حقيقة الأربعين ومُجريات الأربعين، ومعَ ذٰلك فإنَّني سأضعُ في حاشية هـٰذا البحث نماذجَ من الكُتب الَّتي تحدَّثت عن هـٰذا الموضوع:
كتابُ (الأمالي) للصَّدوق المتوفّى سنة (٣٨١) للهجرة، مرّ علينا أنَّ البعض يقول من أنَّ الكُتُبَ قبلَ القرن السابع الهجري خليّةٌ من ذكرِ واقعة الأربعين، لكنَّني أقول: هـٰذا الكتابُ مصداقٌ واضحٌ على أنَّ واقعة الأربعين قد ذُكرت في الكُتُب القديمة، لكنَّ مُشكلةً وقعت هُناكَ الكثيرُ من الكُتُبِ حُرفت، وهُناكَ الكثيرُ من الكُتُبِ ضُيعت، لا أريدُ أن أخوضَ في هـٰذا المطلب.
كتاب (الأمالي) للصَّدوق، الجزء الأوَّل من طبعة مؤسَّسة شمس الضحى الثقافيّة، إيران، المجلسُ الحادي والثلاثون، الكتابُ يُعرَفُ بالأمالي ويُعرَفُ بالمجالس لأنَّ الصَّدوقَ قد قسَّمهُ على مجالس، الصفحة الستين بعد المئتين، الحديثُ الرابع من أحاديث هـٰذا المجلس: **بِسنده** - بسند الصَّدوق - **عَن فَاطمةَ بِنت عَليٍّ صَلواتُ اللّه عَليه: ثُمَّ إنَّ يَزيدَ لَعَنهُ اللّه أمَرَ بِنساء الحُسَينِ عَليه السَّلام فَحُبِسنَ مَعَ عَليِّ بنِ الحُسَين في مَحبِسٍ لا يُكنُّهُم من حَرٍّ وَلا قُرٍّ** - ولا برد - **حَتَّى تَقَشَّرت وُجُوهُهُم، ولم يُرفَع بِبيت المَقدس حجرٌ عَن وَجه الأرض إلَّا وُجِدَ تَحتَهُ دَمٌ عَبيط** - الدَّمُ العَبيط هُوَ الدَّمُ الرَّطب، الدَّمُ الجديد، الدَّمُ الطازج - **وَأبصَرَ النَّاسُ الشَّمسَ عَلى الحيطَان حَمراء كَأنَّها المَلاحفُ المُعَصفَرَة** - المُعَصفَرَة المَلوّنَة باللَّون الأحمر - **إلَى أن خَرجَ عَليُّ بنُ الحُسَينِ عَليه السَّلام بالنِّسوَة وَرَدَّ رَأسَ الحُسَينِ إلى كَربَلاء** - نَصٌّ واضح في كتابٍ قديمٍ من كُتُبنا وهُو مَرويٌّ عن فَاطمَة بِنت أمير المؤمنين، قطعاً هُناكَ تفاصيل ذكرها الصَّدوقُ في كتابه (المَقتَل)، والَّذي يبدو من بعض القرائنِ أنَّهُ كتابٌ مُفصَّلٌ لكنَّهُ لم يَصل إلينا.
في كتابِ الصَّدوق (الخصال)، طبعةُ مؤسَّسة النشر الإسلامي/ قُم المقدَّسة/ الصفحة الثَّالثة والتسعين/ الحديثُ الأوَّلُ بعد المئة: **بِسنده** - بسند الصَّدوق - **عَن ثَابت بنِ أبي صَفيَّة، قَالَ: قَالَ عَليُّ بنُ الحُسَين** - إمامُنا السجَّاد صلواتُ اللّه عليه - **رَحِمَ اللّهُ العَبَّاسَ يَعني ابنَ عَليّ** - إنَّهُ قَمر بني هاشم - **فَلَقَد آثَرَ وَأبلَى وَفَدَى أخَاهُ بِنَفسه حَتَّى قُطعَت يَدَاه، فَأبدَلَهُ اللّهُ بِهِمَا جَنَاحَين** – فهـٰذا عَباسُنا السَّقَّاء الطيَّار - **يَطيرُ بِهِمَا مَعَ المَلائكَة في الجنَّة، كَمَا جَعَلَ لِجَعفَرِ بنِ أبي طَالبٍ** - كما جعلَ اللّهُ ذٰلكَ لجعفر - **وَإنَّ للعَبَّاسِ عِندَ اللّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَنزِلَةً يَغبِطُهُ بِهَا جَميعُ الشُّهَداء يَومَ القيَامَة** - ماذا علَّقَ الصدوقُ قائلاً بعد أن أوردَ ما أوردَ من كلامِ إمامنا السجَّاد؟ قالَ الصَّدوقُ: **والحديثُ طويلٌ** - ونحنُ لا نجدُ هـٰذا الحديث الطويلَ في سائرِ كُتُب الصَّدوق، يقول: **والحديثُ طويلٌ أخذنا منهُ موضعَ الحاجة** - لأنَّ كتابَ الخصال كتابٌ يهتمُّ بالخصال وأعدادها، ولذا فإنَّهُ لم يَذكُر الحديث بكامله، ذكرَ الموضع الَّذي يتناسبُ مع موضوع كتاب الخصال، أمَّا بقيَّةُ الحديث الطويل ذكرها في مصدرها - **وَقد أخرجتهُ بِتمامهِ معَ ما رويتهُ في فَضائل العبَّاسِ بنِ عليّ** - هـٰذا يعني أنَّ أحاديثَ كثيرةَ وردت عنهُم في فضل العبَّاس لكنَّها ضَاعَت وضُيعت - **في كتابِ (مقتَل الحُسَينِ بنِ عليّ)** - هـٰذا الكتابُ ليسَ موجوداً، فمثلما فَصَّل الصَّدوقُ ناقلاً الأحاديث في فَضل قَمر بَني هاشم حَتماً فَصَّلَ ونَقلَ من الأحاديث الَّتي ترتبطُ بواقعة الأربعين، أنا لا أُريدُ أن أتقوَّلَ على الصَّدوق ما لم يَتقوَّل، لكنَّ التَّصوّرَ هـٰذا ألَا تَجدونَهُ منطقياً؟!
كتابٌ صغيرٌ مَطبوعٌ تجدونَهُ في المكتبات مُعنونٌ بـ(مَقتَل الصَّدوق)، هـٰذا ما هُو كتابُ المَقتَل الَّذي يتحدَّثُ عنهُ الصَّدوق، هـٰذا الكتابُ ليسَ موجوداً نحنُ ما عثرنا عليه ولا رأيناهُ ولا سَمعنا عنه، إنَّما الصَّدوقُ أخبرنا عنه في كتابه (الخصال)..
هُناكَ الكثيرُ من الحقائق ضُيعَت والكثيرُ من الحقائق غُيبت، لكنَّ دينَ العترة الطاهرة يَحملُ في جوفه الحقائق الَّتي لا يُمكنُ أن تُغيَّر ولا يُمكنُ أن تُبدَّل..
محمّد بنُ الفتّال النيسابوري الَّذي توفّي قَتلاً ولذا يُعرَف بالشَّهيد الفتَّال النيسابوري، المتوفّى سنة (٥٠٨) للهجرة، من عُلمائنا المتقدمين، كتابهُ (روضة الواعظين)، طبعةُ دار المرتضى/ بيروت - لبنان/ الطبعةُ الأولى/ ٢٠٠٨ ميلادي/ الصفحة الحادية والعشرين بعدَ المئتين، لقد ذكرَ الكلامَ نفسَهُ الَّذي قرأتهُ عليكُم من كتاب (الأمالي) للصَّدوق، معَ اختلاف في التَّذكير والتَّأنيث في التراكيب اللفظيّة..
ما جاء مذكوراً في كتاب الفتَّال النيسابوري: **ثُمَّ إنَّ يزيد لَعنَهُ اللّه أمرَ بِنساء الحُسَين عَليه السَّلام والأطفال معَ عَليِّ بنِ الحُسَين في مَجلسٍ لا يُكنُّهُم من حَرٍّ ولا بَرد حَتَّى تَقَشَّرت وجُوهُهُنّ ولَم يُرفَع بِبَيت المَقدِسِ حَجرٌ عَلى وَجه الأرض إلَّا وُجِدَ تَحتَهُ دَمٌ عَبيط، وَأبصَرَ النَّاسُ الشَّمسَ عَلى الحِيطَان حَمراء كَأنَّها**

الـمَلاحفُ الـمُعَصْفَرة، إلىٰ أنْ خَرجَ عَليٌّ بنُ الحُسَين بِالنِّسوَةِ وَرَدَّ رَأسَ الحُسَينِ إلَىٰ كَربَلاء - المضمونُ هُوَ هُوَ، وهـٰذا كِتابٌ مِن كُتُب المتقدمينَ مِن عُلماء الشيعةَ ومُحدثيهم..

كتابٌ منَ الكُتُب القديمة أيضاً ليست من كُتُبنا الشيعيّة، ورُبَّما تُوجدُ قرائنُ علىٰ أنَّ البِيروني والَّذي قد يُلفَظُ البَيروني كانَ شيعياً، قرينةٌ من القرائن فإنَّهُ حينما يَبدأُ كتابَهُ يبدأ كتابهُ بهـٰذا التعبير: (**بِسْمِ اللّه الرَّحمَـٰنِ الرَّحيم، الحَمْدُ للّه الْمُتعالي عن الأَضْداد وَالأَشْبَاه، والصَّلاةُ علىٰ مُحَمَّد المصْطَفَىٰ خَير الخَلْق وعَلَىٰ آله أئمَّة الهُدَىٰ وَالحَقّ**)، هـذا التعبير لا يصدرُ إلَّا عن شيعي ، ومثلُ هـٰذا الكلامِ يُمكننا أن نجدهُ في طوايا الكتاب، لكنَّ البيرونيَ من عُلماء الطبيعة، ومن عُلماء الرَياضيات، ومن عُلماء الجغرافيا، هـٰذا كتابهُ وهُو كتابٌ يَتحَدَّثُ فيه عن الزَّمانِ وخَصائص الزَّمانِ وعن التقاويمِ في مُختلَف الحضارات وعنَ أهمِّ الوقائع والأحداث التأريخيّة، ليسَ كتاباً تأريخياً عُنوانهُ:

(الآثارُ الباقية عن القرون الخَالية)، لأبي ريحان البَيروني المتوفّىٰ سنة (٤٤٠) للهجرة، جِئتُ بهـٰذا الكتاب لأنَّ الكتابَ في مضمونه لا يُصنَّفُ لا علىٰ الشيعة ولا علىٰ السُنَّة، وإنَّما هُو كتابٌ علميّ كتابٌ مُحايدٌ، طبعةٌ دار بابيليان/ باريس/ ٢٠٠٩ ميلادي/صفحة (٤٥٢)، يتحدَّثُ عن أهمِّ الوقَائع في شهرِ صفر يقول:

في اليوم الأوَّل - من شَهرِ صفر - **أُدخِلَ رأسُ الحُسَينِ عليه السَّلام** - هـٰذا هُو كلامُ البِيروني - **مدينة دمشق، فوضَعهُ يزيدُ لَعنهُ اللّه** - هـٰذا كلام البِيروني - **بينَ يَديه ونَقَر ثَناياه بِقَضيبٍ كانَ في يدهَ** - وأوردَ الأبياتَ الَّتي قالَها يزيدُ لَعنةُ اللّه عليه وعلىٰ بني أميّةَ قاطبة.

إلى أن يقول: **وفي العشرينَ** - في العِشرينَ من صفر - **رُدَّ رأسُ الحُسينِ إلىٰ مَجثَمه حَتَّى دُفنَ معَ جُثَّته، وفيه زيارةُ الأربعين وهُم حُرَمُهُ بعدَ انصرافهم من الشام** - هل تريدونَ كلاماً أوضحَ مَن هـٰذا الكلام؟! التفاصيلُ واضحةٌ، وبغض النَّظر أكانَ البَيروني شيعياً أم كانَ البِيروني سُنِّياً هُو يُحدثُنا عن الحقائق..

كتابٌ آخر لعالمٍ سني ، لكنَّ الكتابَ لا علاقة لهُ بالعقائد، إنَّهُ كتابٌ في الجغرافيا القديمة وفي غرائبِ هـٰذه الحياة، عُنوانهُ؛ (عجائبُ المخلوقات والحيوانات وغرائبُ الموجودات)، فيه شيءٌ من علم الأحياء، فيه شيءٌ من علَم اللُّغة، بعضُ المعلومات الد ينية، لزكريّا ابنِ مُحمّد بن محمود الكوفي القزويني، المتوفّىٰ سنة (٦٨٢) للهجرة، طبعةُ مؤسّسة الأَعلمي للمطبوعات/ بيروت - لبنان/ الصفحة الثامنة والستين وهُوَ يَتحدَّثُ عن أهمِّ الوقائع في شهرِ صفر عبرَ التأريخ الإسلامي، يقول: **اليومُ الأوَّل منه عِيدُ بَني أُميَّة، أُدْخِلت فيهِ رَأسُ الحُسَينِ بِدمشق، والعشرون منه رُدَّت رأسُ الحُسَينِ رضي اللّهُ عنه إلى جُثَّته..**